



الكتاب رقم صفر - حسين جرود

2022

الكتاب رقم صفر

شعر

حسين جرود

اخترتُ طريقًا لم يسر به أحد من قبل

ووصلت إلى مدنٍ لم يرها أحد

وفي تلك النقطة بين الجبال الثلاثة

كنت أصعد إلى السماء

كمركبة فضائية مكسورة

وفي ذلك الكرسي اليتيم على جانب الحديقة

كنت أحضر المحاضرات في الشمس

بينما يرتجف أصدقائي في القاعة

وفي تلك الغرفة بين جهازي كمبيوتر

كنت أشاهد كل فيلم عشر مرات

وأُنتج الأغنيات كريمكس

وفي ذلك الزمن الذي يخلو من الناس

عشت

وفي ذلك البيت الذي لا تصله أصوات

فشلت في اصطياذ الكلمات

وغدوت موسيقى

ويوم جاءت الطائرة الأولى

طرد جدار صوتها

آخر الملائكة

وبقي العالم دون أصدقاء

كانت القطة التي وُلدت

ضيفتي الوحيدة

والذباب المتعب بشرًا متكرين

وعلب السجائر أثاث المنزل

وفي الليلة التي سبقت الطائرة الأخيرة

كنت أفكر بنظرية الاحتمالات

وأقول إن الوقت حان.

سيرة زيتية

1-أول شيء

يتغير الضغط الجوي

بين موعد نومي واستيقاظي،

أول أنواع السكر

نوم الظهيرة.

أرى الغرباء

يعبثون في ساحة الدار

غرباء لطفاء

وأعبر بينهم كغريب.

2- دار

في أرض الدار

عندما يكثر الضيوف

وتمتلئ الساحة بالأولاد

والغرف بثرثرة النساء التي تتقاطع

والضجة

أحمل مطرقةً بلاستيكية

أحاول بها

كسر سداة المصرف المعدنية.

3- حرب

لم نغم طوال سنين الحرب

سوى بجمع الشظايا

والاحتفاظ بها

كتذكارات

كل تلك الإرادة لا تنفع

4- على الحدود

يقولون لي: اشترِ بطاقة لاجئ
وعندها تستطيع العبور

المهزَّب التركي
صنع سلماً من خمس أخشاب
لا يتجاوز طوله المتر
ورفعني فوق السور بذراعيه
ورمى لي حقيبي
وجدتُ نفسي أمام الخندق
والسلك الشائك
وخمسة كيلومترات
أعبرها بين كروم زيتون
ومضخَّات مياه
هجرها أهلها
وتركوها تروي الأراضي

أعثر على دراجة نارية

تتقني بين الجبال

تتوغّل في القلب

وتوصلني إلى موقف السيارات

يوقفني حاجز

فأقول له:

أنا من هنا.

5- الشيخ منصور

على تلةٍ صغيرة

نلعب كرة القدم

تنزل الكرة، ننزل لنحضرها

في قبر الشيخ

نجد الحلوى

قد وضعتها النساء

مع النذور

نقطف الحمص الأخضر

من الأراضي المجاورة

يتبعنا

صاحب الأرض

تمّ تفجيره

تحول إلى حاجر

هذا المكان

6- البراري

خمسة كيلومترات

بين القرية

والتل

والأراضي المجاورة

قطعتها في طفولتي

في السيارة

وقطعتها مع أولاد عمي

سيرًا على الأقدام

مشيتها وحدي

هاربًا

يوم انهار العالم

أول مرّة

وعبرتها عدّة مرّات

على الدراجة النارية

أيام النزوح

والآن

أعبرها

من جديد

7- سيلينا

مقهى

بجانب البحر

في الصحراء

أرواح

في كأس كرتونية

شاعر

يكتب تقريرًا صحفيًا

عن الملابس المستعملة

مسرحي

لم يقرأ أوديب

مخرج

صوّر الثلج لمده خمس دقائق

وراح ينتقد الأفلام

رسّام كتب

لم يعد يجد دفترًا

سوى الجدران

مناضل

متعب

ينظر لنا

شاب

تمّ

إعدامه

عاشق

لا يعرف التفاصيل

سلينا

مدينتا الكذبة

في زمن النسيان

8- الليل

واسع

بارد لذيد

مغطًى بالدخان

تصطفُ الأحجارُ كقلعة

أغدو شيئاً

9- الخروج من النص

من كلّ الجُمَل

من كلّ الأوصاف

من كلّ الكتب

تخرج من الكهف وتتنظر.

تصل إلى الشمس متعباً.

يسألني الخال فانيا:

ماذا سنفعل في هذه السنوات القليلة المتبقية؟

ونحن نشاهد الكابتن رايح

حلُمنا أن نكون لاعبين

ونحن نشاهد سوبرمان

حلُمنا أن نكون أبطالاً خارقين

ونحن نشاهد المجزرة

حلُمنا أن نكون أحياء

ءءءءءءءءءءء

حياتي الحقيقية

لم تبدأ بعد

بعد أيام، سيطول النهار

ويدخل التوقيت الصيفي

ونسافر إلى البحر

ريثما يحدث هذا

أُتسَلَّى بتسلُّقِ الجبال

وقلِّي البصل

عروسُ البحر

على كرسي خشبي

تتحدّثُ عن حبيبتي

ماذا تفعل

بماذا تفكر

أفشل في رؤيتها حتى الحلم

وأستيقظ وهي تضمّني

عروس البحر أجمل منها

في الجبل الأجرد

تلمعُ تلكَ الغرفة

على مبعدهِ منها

ثلاث أشجار زيتون

"غرفة امرأة"

منعزلة"

يخبرني أخي

"تركت العالم

ومعها بندقيّة"،

و"الأشجار الثلاثة

تابعة لها"

ويختم حديثه:

"مثل الأسطورة".

تأخذني إلى كوخ بعيد
حيث تعيش مع أغانمها
وعندما يأتي الليل
لا تدعوني إلى سريرها
وتبقيني بين الأغنام..
لأتدفأ

خارجة عن القانون بالضرورة

تراوح بين الوحدة والعالم

موسيقى تصويرية

-1-

نكتب على ورق مقوى

يمتصّ الصدى

ولا يترك للصرخات مجالاً

كي تهدأ

أو تصدح

في حصار الإسفنج

في عيون الدمى

في وجع الحائط

في الأيام

الطائشة

لن تأخذ قلبي

أو ترميه

أية صدفة

أو رصاصة

آثار الإدمان

على كبد الشمس

ونحن السائرون الموتى

توقف القطار عن الحركة

أصبح جثة مهجورة

على طريق

تصلح لينام فيها المشردون

ولا يدركون في الصباح

من يوقظهم

ماذا هنالك غير أجراسٍ

على دربٍ حزين

يتوسّد المجنون شبكات

العيون

ويرسل الصورة الصغيرة

كالخرافة

ويعيد تأثيث البيوت

غدت الحقيقة بصقّة

وغدا السراب تسامحًا

معها

كأننا نعطي الحقيقة فوق

قيمتها

حين نراها

ليت البلاد خرافة

كانت ستعطي فعلها

كان الجميع سيفهمون

خوارها

ونهيها

كانت شعوب الأرض تقرؤها

وتسمع صيتها

سبعة أعمار في درب مسدود

تتوزع في خط العمر المكون على جلطات

لا أعرف ما معنى السرطان

فخلايا الدم لدي تضيع

على الطرقات

وأسير على أثر الكلب

أو الأصوات

الأضلاع المكسورة

تنغرس في الصدر

وتبني هرمًا

يهرب شرياني في درب فرعي

يصل الشلال

ويرى المياه التي ترتطم على الأرض الصخرية

في لحظة فورانها

تفقد فكرتها

بهجتها

عصيرها

تصعد

وتعود إلى الأنقاض

والنهر الميِّت حولي

يصفر فرحًا

يغيظ السماء

شطيرة زبدة

يخرج منها الزبد

فنجان قهوة

يبقى منه الرماد

يخبرني أنني فقدت الأمل

وأقول إن الأمل كبير

ما دام الواقع

يطير بنفخة

ماذا يهم إن أصبحت

مجازاً

أو كنت وهمًا

ما زالت كوابيسي

تعطيني الأمل

الازدحام يخنق المدن

تسرع الجرذان نحو المصيدة

كلما نسيت فكرتك

تذكرتها

كلما قلصت الشوارع حوافرك

طالت فرصتك في البقاء

عندما يأتي أحدهم

وينكش تلك الجدران

تكتشف أنها لم تجف

كيف تغسل يداكِ الشمس

وتسقطني من نبتة الفاصولياء

جربتُ وجهكِ على جميع النساء

كحذاء ساندريللا

أقف أمام الكهف المسحور

وأقول افتح يا موت

لو كنت عنكبوت

حلتُ مشكلتي

لو كنتُ كلب

عرفتُ صوتي

خرجت الشياطين من المصباح

وبقيت وحدي

أتت الفيلة لتهدم بيتي

وأنا نملة

لا أفتخر إلا بنقطة ضعفي

الطيور والأجنحة

أعد الحساء في المساء

وأشرب الماء والطين

ترضعين التفاصيل

كمسحوق الغسيل

تذوبين في الأيام

وتمحين كل عابر

نوم طويل

نصف حلم

تغلقين عينيك

فأتنفس

مجازر جديدة

في بقعة ماتت

عروض مجانية

لا تُشاهد

رياح وأمطار

ومني وأسنان

حفر وحمير

ومركبات ومراقبون

سرطان يكوي الأرض

ويتوجع

أعلق بالشجرة

فأقطعني

أثناء

وأمصغ الهواء

تحققت نبوءة كافكا

وأصبحنا شعباً من الصراصير

تسحقنا أحدى حراس الحدود

تحققت نبوءة أرويل

وأصبحت الورشات.. تقصّل الأخ الأكبر حسب الطلب

وترميه في مزارع الحيوان

تحققت نبوءة موراكامي

ستصنع بيتاً من الكرتون

وترمي نفسك في الإعصار

تحققت نبوءتي

ستعيش وحدك.. تراقب الشروق والغروب

كآخر إنسان على الأرض

فرنسا مصنوعة من الجبنة الزرقاء

وألمانيا من الصخور

الصلدة

وتركيا من المعلبات الرخيصة

ومصر من الضوء

ولبنان من الشجر

والعراق من بقايا

كؤوس الشعراء

وسوريا عشتار

التي تغوينا

وليس لها وجود

قد مر هيمنجواي من حرس الحدود

والتربة الحمراء يحرسها الجنود

والأشجار زوار

ثقال الظل

وترى الجنود ببيته

وترى الدموع

على مخدته

لكن دموع الآخرين

لن تجد شيئاً

يصلح للسخرية

لن تجد شيئاً

قد يغير

الحظ

لن تجد

كلباً

يهز ذيله

لن تجد فراشةً

أو دبابة

أو قنبلة

لن تجد البحر

أخذ المهربون

أبناء المدينة

ورموا

بدلاً

منهم

ملابس

وسيارات

مستعملة

-12-

لو كنتُ شرطياً

لحبستُ سوريا

أحياناً تكون عينيك أنطولوجيا لفهم هذا العالم

وأحياناً زرّين ضروريين في قميصي

-14-

الليل كالغراء

والصبح من ورق

وعليك أن تتحمل أشكالهم المقرفة

وألوانهم المشمسة

وأيامهم التعسة

صامدون كالصدأ

على باب حكاية

حتى اللحظات السعيدة

كانت خيطاً رفيعاً

ضرورياً

في سجادة الكآبة

مع أنني أخسر دائماً

لا أنسى اللحظات

التي أحرقتها

لأشاهد لعبة

في الدوري السوري

كنا نشجع أحد الفرق

ثم نتمنى

أن يسجل

أي فريق

أي هدف

فقط لنكسر الرتابة

عيناها حركت البيدق

فخرج الحصان

وتشاءب الملك

وما زالت اللعبة مستمرة

في نهايات الحروب

في بداياتها

في أسوارها

في شكلها الدائر

في أفكارها

في عموم الموت

كالفطور في الصباح

يرميه الطاغية فتاتاً للناس

ولا يدركونه

في بقايا الأشكال الزائلة

في ألوان الحرباء الواقفة

يرمي الكذبات

فيتلقفونها جيداً

ويلبسونها

ويمشون

مختالين

في فجر طويل

لا ينتهي

في نهايات الحروب

في بداياتها

في أسوارها

في شكلها الدائر

في أفكارها

يسلب الطاغية أسماء الناس

ويتركهم عرأة

خائفين

من تحريك الكراسي

من قرع الخزان

من هروب السحابة

من صوت الطائرة

من اللون الأسود

حول نار السجارة

المتعفنة

من عيدان الخشب المدسوسة

في التبغ الأحمر

من قطع الكرتون التي تغسل بالقطران وتدعى تبغاً

من قشق الأيام

ومن ناسٍ جوعى للمال وللجنس وللأحلام

قد أكلوا الزرع

وأكلوا الحجر

وأكلوا الحيوانات

ومنطقها

قد نهبوا جثة هذا الليل

بأجمعها

ورموا الأنقاض إلى الشمس

المياه والتدخين والمتة والسهر

تسبب السرطان

ومع هذا نموت بالجلطات

-20-

الضوء الأخضر

يقوّي النظر

فلماذا ذهب الدولار بعيون الناس؟

-21-

أنقر وسادة

النوم

أنقر كيس

النوم

أنقر جسد

الزجاجة

أنقر باب

الغرفة

ولا أستطيع

الخروج

من بيضة

الأبجدية

لا أحن إلى طفولتي

فأنا ما زلت طفلاً

ولا أحن إلى وطن

بعينه

بل أملاك صينية

عيون

مقلية

من تلك الأوطان

تخرج الأعداد من فوهة الوقت

تخرج النيران من شفة الحوار

الفجر حار حر كئيب

مغطى بمفرزاتي

يقذف أحلامي

وفق خوارزمية يكتبها دماغي

أول استمناء

لحظة توصف بسهولة

ويكتب عنها

ليست لحظة رومانسية

نعيشها مع شخص

ولها موضع جغرافي معروف

في بعد آخر

بل هي أول سيطرة

على هذا الوحش

أحدث عن التستوسترون

والموسيقى

والوقت الضائع

بين الحقيقة والفراسة

لا أستطيع أن أركز

دماغي لم يعد يقذف

وتركني لمصيري

أبحث عن ثورة

أذهب واستمن

وفر كلماتك

وفر رصاصاتك

اترك العالم بسلام

أفتح باب الفجر

تتساقط كل مقاعد المدرسة المحشورة

وتتكسر.

على صوت فيروز الذي لا يطاق

أفتح نافذة الضحى.

على ظهري المثقل بنقص المياه

تعبر سكين الظهيرة.

لا أجد الكلمات المتقاطعة

قد طيرتها

مروحة العصر.

الغروب البداية

والنهار مضيعةً للوقت

ولماذا يعرض على الشاشة

ولماذا لا نخبئه كما

نخفي السجائر في

الحمّامات

وعلى جدرانها

نتحدث عن

أعضاء المعلمة.

بلاد كلها مدخنين

وتجد من يسألك عن

سعر الدخان

ولماذا يعرض في الواجهة

أو لا يدخن أمام أبيه...

لأن المشانق لا تكفي سبعة أيام

نعيد مشهد المشي إلى المشنقة سبعة آلاف مرة

كان الصمت خيارًا مرًا

ومحطات الأخبار لا تغطي

جميع المحافظات

والمنفيون

يتمسكون بمنفى قريب

ويراسلون منفى أبعد

والوطن السرطان الأكبر

شخص مثلك إذا أصيب بكورونا

سيقولون أنه سليم

وإذا أصيب برصاصة

يصبح من قتلاهم

تابع المشي فقط

وسياتي دورك

ومتى لم يكن الشعر تذكيرًا بالصمت

والحكم المنسية

ما أجمل تلك الأيام

يوم كانت أحلامنا آلة لطباعة

النقود في الغرفة الخلفية

وتعيش متنكرًا سعيدًا

ترتدي القمصان البيضاء

وتكذب على الناس

لا يعلم أحد الآن

ما الذي يحدث في الغرفة الخلفية

أحيانًا أوقد نارًا كبيرة

وأرميكم في الزيت

أقلبيكم كقطع الدجاج

أو أراكم على

الجدران البيضاء

تدخلون أعضاءكم في بعضها

طوال النهار

أو أنفخ

فقاعات

الصابون

وأطيرها

وأرى

أنها

متماسكة

أكثر

مني

ومنكم

في الغرفة الخلفية

تختفي أقنعتكم فأراكم

بوضوح

ويختفي قناعي

فلا أرى شيئاً

الآن في الشارع

يطلب شخص ما

أن أصرف له مئة ليرة مزورة

شخص سرق حلمي

وذكرني بالعرفة الخلفية

حكم الإعدام وقد كتبوه

نسخوه ولصقوه

كذبوه وصدقوه

لم يأتِ بجديد

لديّ شغفي

أنا فقط فقدتُ العالم

كأن حياتنا ليست

حروفاً مبعثرة

وكأن في داخلنا شيئاً

متناسكاً

وكأن هنالك إنساناً

يعرف اسمه

بعد خمس دقائق، ستسقط قذيفة وأموت

وأريد أن أخبركم أنني متقائل

في بلد العميان والقذائف هذا

القذائف عمياء والناس قذائف

كل ثلاث سنوات تسقط قذيفة

أزحف قليلاً فقط

لأموت مرة كل خمس سنوات

-30-

السفينة تشقُّ

التربة الحمراء

وعيوننا تغرق في المياه البيض

أغرقنا جميع سفن النجاة

لأننا قراصنة

أبحرنا في بحر الظلمات

نحو المجهول

أفرغنا هذه البحار

من متعتها

ومائها

أرسلنا الغربان وطيور الحمام

لنتوه وتسقط في الأنحاء

وعشنا كالبيغاوات المدللة

أطلقنا زفيرنا كل يوم

ليدفاً الجو

وخبأنا اللعنات جيداً

كي لا ينفد مخزوننا

الاستراتيجي

في الطرقات

تدفعنا الأقدام

كالكرات

في البيوت

نحسد العجائز والأطفال

على هدوئهم

في المقاهي

تفقد القهوة والسجائر

متعنها

ونسأل أنفسنا

نحن الغارقون

كيف سنتمكن

من الغرق

ونرتاح

أكياس بلاستيكية

دمى ورقية

مجسمات بشرية

عيون زجاجية

كلاب

خنازير

بقر

في جميع الجهات

جميعها

تطفو على السطح

وتتنظر نحو الأفق

ببلاهة

هذا الخراب

كان مهرجاناً كبيراً من الضحك

يدي تضيء

عندما أمسك قلمي

كي أتبول

في حمامٍ عام

في كل خريف

يسقط بسهولة

وفي كل ربيع

أول الشهداء

الأسرة والمحن

تتلازمان في القصائد

كالقوافي

أنين الشاعرات المهجورات

ودماغ الشعراء

الواقف

عن العمل

عندما قصّوا أيديكم

وأرجلكم من خلاف

تركوا لكم هذا

النهار المتوسط

ليطولَ ببطء

ويذوبَ في راحة

الأشياء

جثة على الرصيف

وفي داخلي مليون كلب

-35-

بقي لنا مئة كلمة

نتبادلها فيما بيننا

ككرة المضرب

كم نحن متشابهون

وتعساء

المدن للمخابرات

الريف للبنادق

الشركات للاعقي الأحذية

الكتب للموتى

الشوارع للمتسولين

الحب للأغبياء

الهجرة للجبناء

لماذا لا يصبح الشعر قطاعًا خاصًا؟

فقدت الفوضى التي كنت أجد نفسي

داخلها

هل كانت سجائرنا تحتوي على الحشيش

أم كانت أيا منا لا تحتوي على ليل؟

أصبح لدي ثقافة موسوعية

بخرافات الشعوب

بجنون القبطان

بنجاة الحوت

وغرق السفينة

جميلة كتونس

وقلبي سوري لا يحتمل

جسد ينطفئ

ويعاد تشغيله باستمرار

يهرب من فخ إلى آخر

لا أمكث مع نفسي إلا فترات قصيرة

تتحدث عن وصلوا

وعن الذين يعيشون هنا

كأنهم هناك

سعداء كأنهم لم يكونوا

كل الذين حدثهم عن سمكة سانتياغو

قالوا إنهم يعرفونها

منهم من شبهها بالقلوب المتعثرة

أو بالمدن بعد مرور الغزاة

منهم من شبه نفسه بالشيخ

والشيخ بالسمكة

والسمكة به

منهم من شبهها بأسماك القرش

لكن مع هذا

لدينا صنم نعبده ولا نستطيع نشره

مع أنه مجاني وكثيف ومتوهج

الأيام الممتلئة كقطار

يقولون: أنت لا تعرفنا

وأقول أنتم لم تعرفوني

الكلمات فقاعات

ننتظر على السكة

قطاراً سقط

في الماء

حياتي مزيج من رهاب الأمكنة

والهروب منها

-46-

الأرق

التعب

النوم المتقطع

قد تكون كلمات سعيدة

تبحث عن أبو تمام

السجون الكبيرة

والسجانون في كل مكان

نتحدث بود

مع من هربوا منا

وهربنا منهم

ووصلوا إلى مكان بعيد

ليتمكنوا من حبنا بأمان

لا يجهل الناس شيئاً

يعرفون أنهم ضحايا

ويفضلون صيت الغنى

جميعهم يريدون القتل

ويجدون أنفسهم في ظروف غير مناسبة

الشاعر الذي يستعمل كلمة رصاص

مجرم ضلَّ السبيل

ومن لا يستعملها أيضًا

أقل حزناً من أي وقت مضى

تأخذني جميع الأشياء إلى الماء

أبدأ نهاري بالبحث عن النسيان

ودائمًا أنسى

أنسى بسرعة

أني ولدت، وأني هنا

أعطي العصافير فطوري

القطط غدائي

ونأكل بعضنا

أنا والليل

أبحث عن خمس فوارق

بين الإنسان والحيوان

بين الفزاعة والأشجار

بين الضياع والسفر...

أَتوقف عن محاولة ضبط الموسيقى

أنتظر

خراب بيوت النمل

كي أهجر بيتي

يُغلق الباب الحديدي

ويتركنا في الخارج

أنا وحواء مجهولة

خائفة من هجوم الشياطين

على المبنى

لم أكن أتقن فن اللامبالاة

لكننا امتلكننا رفاهية التدخين

في الأبنية

باب الغرفة الحديدي مغلق

لا أستطيع الاختباء

لا مكان سوى الممرات

أواصل عبوري الذهني

بينها

بعد سنوات

تكلمت مع الفتاة الملونة

دون أن أخبرها أنني أعرفها

ونامت في أثناء حديثي

لم أخبرها تلك الذكرى

عن شخص نائم

جسده يدخن

أمام باب مغلق

وشبحة يدور في الممرات

وفتاة واقفة

قلبها يتحرك

صدرها ممتلئٌ بالعصير

وتلاعبه مئات الشفرات

عندما تخرج آخر ذرة غبار من رئتي

عندما أبتدى عمراً جديداً

في يوم عادي

عندما تصبح الأشجار المقطوعة

فوق رأسي

جسداً ثانياً

يشبهني

عندما تسقط شمس العصر

بزاوية حادة

ويمتصها قلبي الأسود

وأرى خيط العنكبوت

يلمع ويتأهب

لقطع طريقي

عندما يهدر صوت محركات

تمضي

في طرقات لا توصل

إلى مكان

عندما أرى العابرين

يعيدون العبور نفسه

للمرة الثالثة والخمسين...

أعرف أن اللعبة انتهت

رحلة بحرية

- ١ -

هذا الشرخ ليس في سقف الغرفة

أو الأرضية

ليس في وجه حبيبتي

الميتة

أو شجرة اللوز

ليس في أضلاعي

أو رئتي

منذ أربعين عامًا

وأنا على وشك السقوط

أول مرة دخلت البحر

غرقت

لم أعرف هل أنا في حلم

كنت سعيدًا

في الكون الأزرق الضاغط

الناعم

حتى أخرجني عمي

وضربني على ظهري

وأجبرني على بصق

البحر كله

وبقيتُ أشاهده من مسافة أمتار

بينما يكمل بقية الأطفال السباحة

أو تزجرهم أمهاتهم كي لا يصبحوا مثلي

صورة صغيرة

في عمر السنتين

أنا وعمي وأختي الصغيرة

يقول عمي إنني كنت مختلفاً

وقد علمني كيف أصافح من يأتي،

وكيف أنطق الحروف بوضوح

رغم أنني تأخرت في الكلام

ما الذي تغير؟

عشت حياتي صامتاً، خجولاً،

لا أعرف استخدام الكلمات

أتوقف أحياناً لأسأل أمي إذا قال لي أحدهم: "الله يسلمك"

بماذا أجيبه؟

ولا أتعلم أبداً

ضائع بين التلاميذ في الصف الأول

تجدني معلمة ما

وتقول لي:

"منذ ساعة أبحث عنك".

ولم يدم مكوثي في صفها خمس دقائق

فقد أخذتني معلمة أخرى

إلى صفها لأبقى سنةً كاملة

وعندما كنت أعود إلى صفي

لم يأبه أحد ليدي المرفوعة

للإجابات

وكانوا يضعونني

في المقعد الأخير

تشعل فيك النار

وترميك في البحر

لتصبح قطعةً فنية

تشبهها

آلاف القصائد لعبت بي

العب في النار كما تشاء

أعطها كل شيء

خذ وقتك

ولكن في البحر

عليك أن تغرق فوراً

وبلا جدال

انتهى

تستمع إلى أغنية

بينما تلعب لعبة

وتشرب مشروبًا ساخنًا

كأن الحياة ورم

أو التهاب

تذيبه بالكمادات الساخنة

وتتنتظر شيئًا آخر

عند لعب الورق

يصبح الجميع

مطربين رومانسيين

إذا ظهرت أغنية في التلفزيون

ومع ألعاب الكمبيوتر

والأندرويد

يصلح أي شيء

ليذيب الورم البعيد

وبينما يقتل هرقل الأعداء

تعرف أن هؤلاء المصطفين

خلف باب غرفتك المغلق

أوهى

وأضل سبيلا

عندما أنظر إلى قائمة أسماء

أتذكر ما قلته لحبيبتى

أن النساء الأخريات

إذا ضربناهن في خلاط

نحصل على كوكتيل

بطعم عصير الجرابات

كم كنتُ صادقًا وكاذبًا

ربما لهذا يلفظنا البحر

كرهت حبيبي الأولى

يوم رأيتها تعلق علكة

وما تزال النساء تجعلنا علكة في الأفواه

هل نكتب القصائد ليعلمها الناس

ويبصقونها

ربما عند هذا فقط

يشبهون البحر

ودخلت في نفق

ومات الكائن البحري

لهذا لم آبه لكل ما يحدث على السطح

بل صرت متماسكًا أكثر

كأن هذا الصبي الجديد

المتساقط الشعر

بحار متقاعد

أمن الناس خيانتته

ويمكنهم الثقة به

وبأطماعه المضمحلة

وبينما كنت أسير في النفق

ناسيًا عروس البحر

ناسيًا حبيبتي

ناسيًا اسمي

ماشيًا على أنغام النفق

ومنعرجاته

أنت عشّار

في صباح خريفي

أردت أن أقنع نفسي

أنها أنقذتني

ولكن في لحظة ظهورها

أصبحتُ مسخًا

بينما رأيتُ جمالي

في عيونها

وثقتي بوقفها

ودهائي بثعابين شعرها

وامتلكت النار من جديد

أنا القابع في جوف الأرض

بلا هواء ولا ماء

كان يمكن أن أكون سعيدًا في النفق

وما فعلته من أجل الخروج

هذا الهروب الذي استمر

سنوات وسنوات

دمّر كل شيء

لم يبق لي صديق واحد

ولم يبق لي وجه

ولم يبق لي قصيدة

بل كنتُ أنثر كل شيء من حولي

حتى خرجت إلى الهواء

بعد نبوءة عشتار

التي قالت في ظهورها الأخير

بعد سنوات

بقي لك أربعة أشهر فقط

متنبئةً بموتي

وتوحدني مع النفق

كذبتُ عشتار

وانهار النفق

وخرجتُ بعد أكثر من سنة

أعزلاً وحيداً

محروماً حتى من الجدران التي أضربها

حرًا من جديد

فقيرًا للأبد

وحزنت لأن عشتار

عشتار أجمل من رأيت في حياتي

عشتار التي أخرجتني من النفق

بقيت هنالك تحت الركام

نحن المحكومون بالسجن المؤبد

نتسلى بإطلاق الأسماء

على الأشياء

في صباحات آذار المشمسة

تنزل الملائكة

لتسير بيننا في الطرقات

وفي أماسيه

تلاقينا الرياح الغربية

وتدخل رئاتنا

لتخبرنا بكل نعومة

أن أجسادنا ليست لنا

وأننا لسنا من هذا العالم

وأن هذه اللحظات

المحترقة في الصباح

الغارقة في الليل

بشيرٌ ونذير

سُجِلت غائبًا في معسكر الجامعة الأول

رغم حضوري

وطردت من الثاني

وألغيت المعسكرات التي تريد قتل جزء

صغير فيك

فلا وقت للبحر

لا وقت حتى للطقوس

الأمر مختصرٌ على أيام

وعليك أن تعود وتشتري

بطاقات الهاتف

وتكلم أهلك

يعرفون أن الأيام هي السجن

فتركوها لك

يعرفون أنهم حاصروك جيدًا

ولا بحر هنا

فابق

ابق إلى الأبد

جميعهم كرماء ويعطونك أملاً

حتى صديقك الذي لم يمرر لك الكرة يوماً

يريدك أن تجد عملاً

يريدك أن تحلم بذلك

ثم يستحوذ على الكرة من جديد

ويخفي وجهه

لن تعرف أيُّهم هذا

وأيُّهم ذلك

وأيُّهم تلك

في مدينة بلا وجوه

يقول الناس أشياء جيدة

لا يوجد تحتها شيء إنساني

ويقابلونك بوجوه مبتسمة

مهتمة

وهم يرزحون بأغلالهم

لهذا أحاول أن لا أكذب

أنا لا أهتم

ولو مات الجميع

فجثتي ما زالت تثقل كاهلي

وأعجز عن دفنها

في مهاوي الرياح

ومنذ زمنٍ

نسيت البحر

عاش جدي مئة عام

دون أن يفعل شيئاً

قضاها نصفها في فراشه

وأقل من نصفها في الطرقات

وقال كلمات معدودات

ومضى...

عندما ولدتُ كان في الخامسة والثمانين

لم أعاصر سوى غروبه

الأخير

امتلك خمسة أشياء تزيد عن السأم

يريد أن يلفظها ولا يستطيع

يضع فراشه منذ العصر

في غرفته المشتركة مع جدتي

التي يزورهم فيها جميع

الناس

اختار زاوية لا تمس

ولا يقترب منها أحد

وإلا سيضربه بالعكاز

كانت أيامه هادئة جدًا وصاخبة جدًا

لم تكن حياتي صاخبة جدًا

ولم تكن هادئة جدًا

أحمل توترًا

دائمًا

لألف سبب

ولا آبه له

استغرقت سنوات لأفهم

لماذا يرى الناس القمر جميلاً

ولماذا يحبون الورد

وعشرين عامًا

لأعرف أن البصلات المزروعة

في أرض الدار

هي الزنابق المذكورة في القصائد

وثلاثين عامًا

لأقوم بتجارب في الحياة

وأصل إلى النتائج التي كنت أعرفها مسبقًا

وأفشل في التعبير عنها

وتسعة أشهر كي أجرؤ على

وضع البحر في قصيدة

تسألني طفلة الآن: هل تعمل؟

أجيبها: نعم

هذه النكتة الوحيدة في هذا النص

ولا يهمني إن لم تضحكوا

فالأيام التي ترميكم في أعمال السخرة

ولعق الأحذية

وتجعل طعمكم كعصير الجرابات

مضحكة أكثر

من قصائدي

والأيام التي أدلتكم

وحولتكم إلى وحوش في الوقت نفسه

حتى فقد اللوز مراره

واللثغة متعتها

لن أقابلها إلا

ببصاقة تسبح في الملح

ولكم أن تعرفوا

فالقرف الشعور الضروري المنبوذ

بين المشاعر

كرمز أغضبني في موقع فيسبوك

ثم قل لي، أنت الذي وصلت إلى هنا

ماذا تريد من قراءة هذا النص

انقلع

نعم انقلع

اذهب واقرأ نصًا كاملاً

ككمال أمك

ودعنا نعمل

أصبحت البلاد جنة

والقصائد بيضاء

وصار وجه الشمس أبيض

كالغسيل

- لماذا كلمة حمار تثير الإنسان إلى هذا الحد؟

- لأن جميع الأشياء المهمة حدثت

دون أن نراها

- ربما نصلح جميعنا مقاومين

في جيوش الحياة

-17-

امتلاك العينين

اللسان

القلب

الرأس

وما بعد العذاب

ولماذا كل هذا؟

وإلى متى تراقب تلك الألعاب؟

عندما تؤلمني أسناني

أحاول أن أتذكر يومًا واحدًا سعيدًا لأغير الموضوع

فلا أستطيع

عندما تؤلمني أسناني

أعرف أن البروفين أهم من الأكسجين

لا تنتظر من شيء أن يوصلك

إلى موتك الناضج خلف الباب

كانت أطرافي تتجمد

وأنا أكتب

أو أدرس

في غرف بعيدة

بينما أشاهد التلفاز مع الأسرة

في غرف دافئة

لم يسقط البحر من التلفاز

ولم تصل العصافير

إلى غرفتي الباردة

من يعرف الشتاء والنار جيداً
يتمنى أن يستمر الصيف إلى الأبد
ولو لم يعيش
ولو لم يكتب
ولو قضى كل الوقت
يراقب سماء زرقاء وطائري سنونو

لو كنت تعمل

هل ستكتب هذا؟

هل العمل اغتصاب للإنسان؟

طفل وعجوز على بعد أمتار

كلاهما يكنس الأرض بظله

وبينهما أتقافز كالأبله...

يجب أن يموت الشاعر شابًا

وإن كان طفلًا

وإن عاد طفلًا

لا يجب أن تأسره الكلمات

أو يصدق شيئًا مما قاله

بين أحجار قليلة

في أرضٍ جافة

تولد فكرة ممطرة

كطقوس لتحضير الأرواح

ينظر الناس إلى الجسد القابع

في الغرفة

ويوشكون على دفنه

سيناريوهات منسية

-1-

لو كنتُ أقوى قليلاً

لأصبحتُ قاتلاً

أخرج إلى الشارع

وأقتل أول شخص أنفرد به في شارعٍ مظلم

وأخذ الليرات القليلة التي في جيبه

لأحصل على ثمن العشاء...

لن تنقص هذه الحياة من نكائي

ولن تفتقر إلى الدهشة

سأرسم كل يومٍ لوحة

بدماء حقيقية

وأخفي الرتوش الزائدة

وأخرج بعدها نظيفاً

لطيفاً

مُعافى

كشاعرٍ ضربته صاعقة

أو عاشقٍ سيئِ الحظ

أو مسافرٍ عادٍ إلى مدينته

ليواجه الأبواب الصدئة

بعيون حارقة...

أسوأ ما يمكن أن يحدث

أن لا تشتري تلك الليرات شيئاً كثيراً

فأنام وطعم البسكويت في فمي

وأنا أحلم بالدجاج

أو أرى ابنة القتيل

تبحثُ عن ثأرها

فأفرح لأنني أيقظتها...

عندما انفردتُ بمديري السابق

في القبو

كان قصيراً

ومريضاً

ومع هذا اغتصبته

لو خطفته وحصلت على الفدية

كان هذا سينسف مشاريعي

ويُنقذ بعض القتلى

لهذا أرفع سروالي

وأمضي

وأنا أرى ذلك العجوز

المتملِّق

لم يحمل معه سوى

مؤخرته...

عندما لا تحمل الضحية شيئاً

آكل زر القميص

وعندما تحمل أكثر من اللازم

أخاف من التخمة

وأعرف أن الحظ بوجهيه

إن أقبل أو أدبر

يترصّدني

ويحيق بي

وأن وقتي قليل

والعوائق تزداد

أمامي وتظهر أنني توجَّهت...

قتلتُ بالمشروط

وبالسلك المعدني

وأغرقتُ رؤوسًا بالماء

وقطعتُ أعناقًا بالسكاكين

ولم أنم دون عشاء

فعندما لا أصطاد شيئاً

لا أنام

أستمع إلى أغنية

على الراديو

وأنطفئ...

أن تكون الضحية مجهولة

شيءٌ مثالي

تصبح مثل أي حيوان في غابة إفريقية

وكلما عرفتُ عنها أكثر

أبتعد عنها

أبتعد

حتى تكبسنني إليها كالمطاط

كأني أريد أن أمسح

توتر الأيام الماضية كله

بضغطة زر...

قد أقتل طفلاً

قد أحمل معولاً

قد أزرع شجرة

قد تضربني الجثة

وتقلت

وأشعر في تجميد

أوصالها

وضربها ضربات متلاحقة

حتى تتفتت وتختفي

وأنظر بعدها

لأجد أنني

لم أفعل شيئاً...

أحتاج ظلاماً

وشخصاً وحيداً

وأداة حادة

وبعدها

يسير الأمر أوتوماتيكياً...

أعطِ الخباز خبزه

والشاعر جثته

والمدينة ضوءها

والإنسان وحدته...

أستطيع انتظار الضحية شهوراً

وقد أموت

وعندما ألتقيها أقول:

لقد مت عدة مرات

فلتجربِ ذلك أنت أيضاً...

في الضوء يقتل الناس بعضهم

ويغتصبون بعضهم

طوال النهار

والظلام صديق

لا يؤذي أحدًا

وعندما يركلني أحد فيه

أو يلكنني

أكون مُخدرًا

مُسرنمًا

وأصطدم بالجدار

كمن يقع على فراشٍ رطبٍ في يومٍ مشمس

وأبصق أسناني وأمضي...

انظر إلى أي أحد من هؤلاء الذين يظهرون على المنصات ويلقون الخطابات

وافتح بطنه

ستخرج منه مئات الضحايا

هل تريد أن أثبت لك أن الضوء في الظلام

والظلام في الضوء؟

إذن تعال وافتح بطني

ستجده فارغًا

جائئًا

في انتظار الصيد

لو كان لي بعض الصبر

أصبحتُ متسوّلاً

أو موظّفًا

أنتظر الناس أمام الفرن

وأمدّ يدي

أعيش على فتات الفقراء

أو أنتظر منذ الصباح

على طريق الزاهبين إلى العمل...

أختار بقعة هادئة

والمنظر أمامي لا يتغير

طوال فصول السنة

في المدينة شيئين

أنا وهي

أضع نفسي مقابلها

وعليها أن تعطيني

كما أعطيها

لو كنت أكثر سحرًا

لأصبحت ممثلًا

وأحرقت الخشبة

في نهاية كل عرض

لو كنت أذكى قليلًا

لأصبحت مدرّسًا

أو كاتبًا أو حكميًا

أجمع أصدافي

من غباء البشر

كشاطي يلتقط النفايات

لو كنت أجمل قليلًا

لأوقفت القوائد

على رؤوس أصابعها

وجعلتها تسجد لي

لو كنت أنقى قليلاً

تركْتُ الأفاعي

تدخل في جسدي

وتخرج

ومشيئاً على الماء

لو كنتُ محظوظاً

لما اخترتُ ألعاب الحظ

وجعلت الكلمات التي تصادفني

والأشخاص في طريقي

دمىً للتسلية

لو كنتُ سعيداً

لما انتظرتُ الجميلة أياماً

لتمرَّ

على شارعٍ يأكلها

لو كنتُ لطيفًا

أكثر من هذا

أو أقل

كانت كلماتي أثقل في الظل

ولم أحلم

سعادة أزلية

أخرج من بيتي ماشياً

أبحث عن صديق

عن آخر الأصدقاء

أخذه ونمضي بعيداً

نقطع الفيافي

ونضع المدينة خلف ظهرنا

ثم أتذكر أن إحضاره

معي

سيمنعني من الانتحار

وأنني أحمله معي

كشماعة

أو وديعة

لأعيده

إلى المدينة (المشرحة).

نشعر بالعطش

ثم نعثر على ماء ساخن في إناء

في غرفة مهجورة

أشرب قليلاً منه وأمتعض

بينما يشرب كفايته

ويقول لي: "هذا هو الموجود"

أعود وقد قررت قراراً واحداً

أنني لن أشرب الماء الساخن أبداً.

لسنوات سيبقى مشواري اليومي

يبداً بطريق الفيافي

وينعطف في بدايته

نحو مدينة أخرى

لسنوات سأتذكر خيانتني

وأنني لم أمت في ذلك اليوم

لسنوات سأفشل في الكلام

لسنوات لن أحفظ أسماء

أصدقائي الجدد

لسنوات سينقذني فشل

من فشل

ويثبت لي ولو مؤقتًا

أنني لم أتأقلم

أنا الذي مات في السابعة عشر

ولا تستطيعون أن توجهوا لي..

سهمًا واحدًا.

عندما تراودني المخاوف

من الموت والاضمحلال

لا أتذكر إلا هذا السلاح.

إذا كنا نخسر طفولتنا وأحلامنا

الحقيقية مبكرًا

فلماذا نأسف على المسخ الباقي؟

لماذا نخاف عليه هكذا ونحميه؟

لماذا كلما امتد العمر نخاف أكثر

ونصبح أكثر حكمة؟

كل يوم

أنظر نحو الشرق

نحو الجسد المسجى

بجانف جدار غرفة مهجورة

قبل أن ينحرف الباص شمالاً

ويحملني

وأسال نفسي

"أين هي الحياة".

عشت حيواتٍ كثيرة

ولكنني أنكر دائماً

جسداً على جدار غرفة مهجورة

ينظر نحو الشرق

كطائر دون ريش

وبعد مئة محاولة

أنسى كل شيء

وأستيقظ.

على مدار 25 بيتاً

انتقل خمسة أشخاص

الأول: لم ينم سوى ليلة واحدة خارج بيت الطفولة

والثاني: صمت حتى انكسر

والثالث: ولد بلا طفولة، وبلا أمل

والرابع: قاتل، لا يألفُ أحداً

والخامس: رقيقٌ جداً، دون ملامح.

ولدنا في الوقت الضائع

وَعرفنا مبكرًا

أنا لن نتزوج من نحبهنّ

ولن ندرس ما نريده في الجامعة

ولن نفهم المعلومات بل نتقيّوها

ولن نتذوّق الفنون بل نلتهمها لمدة اثنتي

عشر ساعة أمام التلفزيون

أنقذتني الأرقام من وهم العالم

كنتُ أضمرها

وأرى تناسقها يأخذني إلى عوالم أخرى

وكنت أكتب كالروبوت

وألعب بالكلمات مثله

أعرف أنني لن أشعر بشيء

قد يمر العمر كله دون أن أشعر بشيء

قد تتحول الأرقام إلى أفكار

قد تتحول الأرقام إلى موائد ضخمة

فيها ما لذّ وطاب

قد تتحول الأرقام إلى أجساد

متراكبة في فيلم طويل

قد تتحول الأرقام إلى صف

طويل من البشر

ينتظرون دخول الحياة

أو الخروج منها

قد تتحول الأرقام إلى لعبة

لكنها لن تحوي شيئاً واحداً

حقيقياً.

حياتنا ليست حياة

بل سلسلة من الأصابع الوسطى

المرفوعة من أول يوم...

011111100110

يضغط أشخاص على قلبي

في هذه اللحظة

لا أريد ذكر أسمائهم

أحدهم عجوز مغترب

والأخرى طالبة جامعية كئيبة

و...

يريدون نهايةً سعيدةً

لهذه المسرحية التافهة

يريدون أن يخرجوا

من قراءة الفصل الخامس

غير ما دخلوا

والثالث لا يستطيع أن

يمسك يدي

بعد أن قتلوه

ترتسم صورته أمامي

ما أجمل الأموات

إنه يمنحني حريته

وما أبشعنا

مثل الحمير على طواحين القمح

مثل الكلاب وراء النفايات

مثل الصراصير ندعي الحكمة

ومثل النمل نموت

ولا يهتم بنا أحد

ولا نهتم حتى نحن

لحياتنا

مقرفون

تافهون

لا نساوي شيئاً في أي حساب

مع أننا نعبد الأرقام

ومكاننا بالوعة العالم

التي يغيرها كل مرة

ليصنّف حساباته

أعرف أنني لن أموت

من سكر سبع سنوات متواصلة

لا يموت

ومن استيقظ بعد ذلك

لم يكن شخصاً آخر

كان هو

هو نفسه

ولهذا قتلته.

أحجيات

(قصائد إلى رياض الصالح الحسين)

ننظر للأشياء بلا مبالاة

ونريد سأمنا كاملاً

والأرض خيطٌ حريرٍ فوق سور

1- أنا لستُ مكتئبًا

أنا لستُ مكتئبًا

ولكن الأغنيات في حنجرتي سيئة

ولهذا لا أفهم ما أقول

والزوايا تتحلل

أنا لستُ مكتئبًا

ولكن الديدان في جنتي مُتعبة

كلما نمت عضلاتي ٢٠ غرامًا

أفزع من حياتي القادمة

أنا لست مكتئبًا

ولكن الرياح أجلتَّ موسمها

ولهذا أنتظر

عبث الريح وآراء الرمال

أنا لست مكتئبًا

ولكن النكات لم تكن مضحكة

أو مضجرة

كانت فيها فقط بعض سماء

2-لو

لو كانت الظروف مختلفة

اشتريتُ دراجة هوائية

وزرتُ الأهرامات

وقتلُ أديب

لو كانت الظروف مختلفة

سافرتُ في المحيط الهادئ

ووصلتُ إلى الهند

وشربتُ الزنجبيل

لو كانت الظروف مختلفة

اشتريتُ طائرة

وحطمتُها على أحد الجبال

ونسيتُ جثتي

لو كانت الظروف مختلفة
شربتُ البحر على دفعات
وبصقتُ الجزر والخلجان والسفن
وعرفتُ الحقيقة

لو كانت الظروف مختلفة
دخلتُ في ثقبٍ أسود
وقرأتُ قصائد الآخرين
وأنا أضحك

لو كانت الظروف مختلفة
تركت رأسي هنا
وقمت ببعض العبث
في العوالم الموازية

لو كانت الظروف مختلفة
كتبْتُ في دفترٍ قديم

2021 سنة وخمسة أشهر

دون أن أحرقها

لو كانت الظروف مختلفة

أحببتُ بعض الأشياء

وتأثرتُ ببعض الكتب

وقلتُ جملاً مفيدة

لو كانت الظروف مختلفة

ميّزتُ بين القنابل والأسماك

الكذب والقمر

البلاد والسجن

لو كانت الظروف مختلفة

كنتُ في بيتي الآن

وفصلتُ شريط الهاتف

وأغلقْتُ جميع النوافذ

3-أنا معذب

أنا مُحاصر... مُحاصر

لا أفق لي

لذا سأعُدُّ هذه الورقة أفقي وسمائي

وأرسمُ فيها شمسًا صناعية

أنا ميّت.. ميّت

لا أمل لي

لذا سأعُدُّ هذه الورقة بيتي وبلادي

وأرسلُ فيها أطفالِي الخمسة

أنا مفلس.. مفلس

لا مال لي

لذا سأعُدُّ هذه الورقة بنكًا دوليًا

وأعطي نفسي نقودًا حجرية

أنا طيب.. طيب..

لا شّر لي

لذا سأعدُّ هذه الورقة دمائي وأعصابي

وأغرس فيها أنيابي الزرقاء

أنا عاشق.. عاشق

لا دواء لي

لذا سأعدُّ هذه الورقة رسالة حب

وأكتب فيها أكاذيب جديدة

4- الحب

يستطيع الحب أن يخرجك من ذاتك

ويرفعك مترين فوق الأرض...

يستطيع أن يُنسيك الهوامش

والمعاني والطرق...

يستطيع أن يقتلع القلب الأسود

ويجعلك سعيدًا ببعض الضحك...

يستطيع أن يُعميك ويخلصك من صورة البشر

أو يُدميك حتى تخرج منهم نهائيًا...

قد يمنحك اللغات غير المفهومة

والصلات غير المهمة بين اللفات الضائعة...

ويكون نهرًا

أو ظهيرة

طائرة ورقية أو رصاصة

كوالا أو دبًا قطبيًا...

يستطيع أن يكتب اسمك من جديد
كأنه قصيدة حياة متجددة تُخرسك...

يستطيع أن يفعل كل شيء
لهذا لا يسير على الأرض...
الكره.. أقوى من الحب
فالحب.. بلا سبب

5-بحر الكذب

أول شخص يوقظك

هو الشخص الذي سيعرف حقيقتك

لا أفتح الباب

لا أردّ على الهاتف

الأشياء صامدة

كالكفن

صامدة

تعدّ ضلوعي

كلّما وجدتُ جثتي على الرصيف

ورثتُ الموت محمولاً على الشفاه

وتقاسمتُه مع الليل

وعشتُ منفياً في بيتك

أغرقُ في الهرب وأناديك

بلا عقل

كان الأمر دائماً نداءً خفياً

نسير من باب إلى باب،

لا نُصدِّق ولا نُكذِّب،

لكن نتَّبِع الكذَّاب.

ما أشدَّ خيبتنا

لو لم نراهن على حصان خاسر.

6-الأعداء

لا تستطيع أن تقضم أصابعك

أن تلفظ أنفاسك

أن ترى جثتك

من مدينة بعيدة

من مسودة قديمة

من الحب

والحياة

والأيام

والسماء

والأرض

تلك الكائنات الغريبة

ذلك الغبار في الدم...

جربتُ

الهروب

والحياة

وقطع المعصم

ومع ذلك كنت أفضل

حتى جاء الأعداء

7-سيرة أخيرة

من هنا خرج الشيطان مطرودًا

وهنا تحقّق

واختفى

الصباح أم المساء

الشمس أم القمر

الماء الذي ترشقه السيارات على المارة

أم السماء التي لا نطالها

عندما كانت السعادة مجّدًا قادمًا

أهملنا المفردات والتفاصيل...

عندما صارت السعادة أمسًا زائلًا

أكثرنا من المفردات والتفاصيل...

عندما صارت السعادة وعدًا

لم نجد المفردات والتفاصيل...

لنا موقف، وللأيام حركتها

لنا غربتنا، وللأيام ألفتها

لنا فهم قريب

ولللأيام متاهات وحدود

خيطان القمر تتسرب من النوافذ

وتحوك وسادتي

ولهذا أسير نائمًا

لا أعرف شيئًا

لكن الكلمات تحبك

الأمكنة التي لم تفهم الشيطان

الشيطان الذي أتعبته الأمكنة

غلاف كرتوني لقصة لم يفهمها

الطفل

ومع هذا كان سعيدًا

السعادة نص قصير

لا يحتكر الوقت

وقصة حب طويلة

نجمة بثلاثة أذرع

وتمرّ سحابة هذا اليوم
دون أن تجرّو على الابتسام
أو الخوف.

مجموعة الدبّ الأصغر
تتغيّر دائماً

وتبتعد.

أخطبوط يغلق النافذة

يتمسّك بالكمبيوتر

وينظر نحو سقف الغرفة.

هل أنت فأر أم عرّاف؟

/

كنا نحفر عنق السنّ

لنضع حشوة تجميلية

دون أن نستعمل المخدر.

وفي الزيارات الأخيرة

سحبوا أعصابي

طريقة تذوّقي

الخرائط.

في تلك البلاد

كانت زيارة طبيب الاسنان

نوعًا من الترفيه.

/

ما زال هناك أمل؛

كأن يبدو وجهك

لمحة

في غيمة عابرة.

كأن تبصق الحبر

صدفة

على نجمة بثلاثة أذرع.

كأن يطرق اللصوص

بابك

وتجدها فرصة للانتحار.

رباعيات الأيام

(في النهاية، يصبح كل شيء جزءًا من الكابوس)

-1-

إذا زرنا بلد الموتى

ماذا سنحمل في طريق العودة؟

إذا ثقبنا السماء

وخرج دب قطبي ليعانقنا؟

إذا جمعنا النجوم في كرة مطاطية

ولم يبق شيء للحظ؟

إذا ابتلعنا الجدران

وذقنا طعم الأيام بأسناننا؟

إذا رسونا على جزيرة مهجورة

ورأينا بالتصوير البطيء المهزلة ذاتها؟

إذا فتحنا كتابًا

وظهر حلمٌ لم نكن نستطيع تذكره؟

إذا سألنا المتنبى

ما لنا كلنا جَوِّ يا رسول؟

-2-

منذ أول مرة حملت قلبك في يدك ولم يلتقطه أحد ورأيتَه يتسرب من بين أصابعك
ويسقط على التراب كقطع الجيلي

عرفت أنك قاتلٌ أيضًا

منذ أول مرة رأيتَ فرسًا تمخر الصحراء في رحلةٍ نحو آخر الأفق وتمضي كشعاعٍ لا
يُجارى ولا يصل

عرفت أنك ضائعٌ أبدًا

منذ أول مرة وصلتَ إلى البحر ورأيتَ الأمواج وأردتَ أن تكون رسالةً في زجاجة
تصلُ إلى جزيرةٍ مهجورة

عرفت أنك تافهٌ جدًّا

منذ أول مرة وجدتَ سرابكَ محشوًّا في فطائر يأكلونها على الإفطار ويشربون معها
المدى

عرفت أنك كلبٌ حقًّا

-3-

قلبي الذي سار في ذلك الربيع.. أتى إلي وحدثني بعد سنوات.. كنت حينها أعشق
غيري

قلبي اختفى.

قلبي الذي ظهر يومها، ليحدثني.. خلته مزورًا.. وما زلت حتى اليوم

لا أعرف من هو.

قلبي الذي لم أكرث لكلماته.. لم يخبرني أن القلوب.. تسقط.. تتنقل بين البشر

وكم تاه.

قلبي الذي انشطر كقنبلة.. صار موزعًا على آلاف الأشخاص.. لذا أخذوه ودفنوه

بعيدًا

كالنفايات النووية.

-4-

تأتين كدفتر الديون..

وموسيقى السوق..

وغباء النحل.

أعرفك وأحفظك..

وأبغضك..

ولا أفهم غيرك.

لا أخشى..

السقوط..

السم هو الترياق.

كل يوم أتقنوك..

أنسى اسمك..

بطريقتي.

-5-

لم يتغير شيء

ما زلتُ لامباليًا

وسعيدًا

وأكره قصادي كلها

لم يتغير شيء

ما زلتُ متعبًا

ولاهنًا

كأني نسيْتُ التنفُّس

لم يتغير شيء

ما زلتُ غائبًا

وعائدًا

كأنّ الأرض مزوّرة

لم يتغير شيء

ما زلتُ أولد

وأختقي

كحجرٍ لا يفهم الماء

لم يتغير شيء

ما زلتُ أبدو

ولا أرى

كعالمٍ دون أسماء

-6-

واجهات المحلات مطفأة

أراقب الأطياف

حيرى..

بين بائعات الكبريت

أنتظر مرور لحظة

دون مرور سيارة

دون مرور أحد

فتمر حياتي

أحمل الأوراق المبللة

وأنفخ فيها

فتضيء ثانيةً

وتنطفئ

وموسيقى

وعمارات لا تتوازن

تسقط كل لحظة

خلف الأمواج

أيتام في الصورة.. أحرار من كل شيء

متقربون جاهزون على هامش الحياة

نفهم كل شيء من أول نظرة.. وننساه

نعبر في مهرجان الضوء.. ونسكبه ككأس كل يوم

تجري المياه من بين أصابعنا.. ونختق بقطرة

لسنا مستعجلين ولا مستمتعين

لسنا لطفاء ولا تعساء

لسنا ظرفاء.. ولا نملك سمة التعاطف

نمضي حتى آخر خطوط الضوء

ننفجر في الجو

ونتلاشى

رعب

يرعبني أن تتحول لامبالاتي

إلى كره صريح

أن أحمل مشاعر واضحة

نحو الناس

لدي لامبالاة تكفي الجميع

تكفي جميع السرطانات

والأوهام

والعذابات

ولدي ظل هائل يتكفل بالقتل

الشاشة فارغة

للناس وجهان، وللحياة كذلك

مفترق طرق

نحو هاوية أو جنة

الوجوه

اخترعتُ الحواجز

ثم تسقط

كالخرز

لا أحد يريد إضاعة وقته

لكنهم الطريقة المثلى لذلك

الفضائيون موجودون

إنهم الصورة التي نكوّنها عن نحبهم

الستارة

وكانت سيرة الإنسان في بلدي مجازاً

لا يعيش ولا يفكر

يمشي ويأكل.. يحب ويكره.. يخاف ويهرب

من كل صوت...

في شارع معتم تغزو الوقت

أشباح كثيرة

وتخففه

وتعطيه بريقاً

للسائلين...

لا أحد يتوقف ليسأل

أو يعرف

في هذا المنحدر

حتى تخرج البلاد كشعرة

ونبقى حولها كرزاذ الأنف...

نتماسك لنتذكر بعض الأسماء

ونفشل

هل مرت حياتنا على غيمة

أم كان المونتاج اليومي

لأيام

مزحة...

قلتُ لكونديرا

إنهم سمحوا لنا أن نمزح

وبعدها أخذوا كل شيء

وما زلنا نبحت عن مزحة

لم تضحك أحدًا

المحتويات:

- 000 3
- سيرة زيتية 5
- موسيقى نصويرية 29
- رحلة بحرية 103
- سيناريوهات منسية 136
- سعادة أزلية 148
- أحجيات 158
- نجمة بثلاثة أذرع 174
- رباعيات الأيام 176
- رعب 183
- الشاشة فارغة 184
- الستارة 185